OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

الحبيب السايح ناقداقراءة في كتابه (هذا المجاز..قراءات أدبية)

Habib Sayeh as a criticA reading in his book « That metonymy ... Literal readings"

۞ د.فايد محمّد

معهد الآداب واللغات المركز الجامعي-تيسمسيلت/الجزائر

۞۞ د.شبانة نذر

أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، بهاولبور

ABSTRACT

"Habib Sayeh" is an Algerian writer, who has written short stories, however he is known more as a novelist. He has published nine novels until now. His first novel, "The Time of Nimrod" has created for him, as it was the first Algerian novelist text written in Arabic to be confiscated by the authorities in the Algerian history after the independence.

This paper attempts at presenting Sayeh not as a novelist or a story writer, but as a critic even he refuses this title absolutely. We start in establishing this new description of Sayeh from his book (This metonymy ..Literary readings), which was published in 2014 and in which he has collected a set of articles published previously in different Algerian and Arabic newspapers and magazines, Actually, we will not provide a reading of the whole book (357 pages) but we focus on the first and the second parts, which Sayeh included readings in novel and poetry.

In this attempt, we mainly try to describe the writer work on the selected texts, in order to study his work in the two parts. Speaking about Habib Sayeh the critic within this framework is limited to the criticism of novel and poetry, hoping to discuss its work in the third part, which is allotted to the short story (he has read 17 stories) in another research,

Key words: Habib Sayeh - Criticism - criticism of the novel - criticism of poetry

الملخص بالعربية:

الحبيب السايح كاتب جزائري، كتب القصة القصيرة، ولكنّه حاز شهرة أكبر بوصفه كاتبا روائيا، صدر له إلى الآن تسعة نصوص روائية. عرّضه نصّه الروائي الأوّل (زمن النمرود) لمشاكل، فكان صاحب أوّل نص روائي جزائري مكتوب باللّغة العربية تصادره السلطة في تاريخ الجزائر المستقلّة، ومن خلال هذه

الورقة البحثية نحاول تقديم السايح لا بوصفه كاتب قصة ورواية، ولكن بوصفه ناقدا، مع العلم أنّه صرّح مرارا برفض هذا اللّقب. ننطلق في رسم الوصف الجديد للسايح من كتابه (هذا المجاز..قراءات أدبية)، وهو كتاب نُشر سنة 2014 وجمع فيه جملة مقالات كان نشرها في جرائد ومجلاّت جزائرية وعربيّة، والحقّ إنّنا هنا لن نقدّم قراءة في كلّ ما تضمّنه الكتاب وهو يقع في (357 صفحة)، حيث سنركّز على القسمين الأوّل والثّاني، وقد ضمّنهما السايح قراءات في الرّواية والشعر.

إنّنا ومن خلال هذا المسعى، نحاول أساسا وصف اشتغال السايح على النصوص الّتي اختارها، بهدف رصد عمله في القسمين، فالحديث عن الحبيب السايح الناقد هنا يقتصر على نقد الرّواية والشعر، على أمل مناقشة صنيعه في القسم الثالث الذي أفرده للقصة القصيرة حيث قرأ (17 مجموعة قصصية) في بحث آخر بإذن الله.

الكلمات المفاتيح: الحبيب السايح- النقد- نقد الرواية- نقد الشعر

كتاب (هذا المجاز..قراءات أدبية) بطاقة فنية:

صدر الكتاب سنة 2014، عن الشركة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ويقع في (357صفحة) من القطع المتوسط، صدّره صاحبه بوصف عام يحدّد طبيعة الكتاب ومضمونه، يقول: "إنّها مجموعة قراءات في نصوص روائية ومسرحية وشعرية وقصصية ونقدية وفي كتب أخرى ومقالات رسم لوجوه كُتّاب، أنجزت في الفترة ما بين 1994-2013، ونُشرت كلّها ورقيا في صحف ومجلاّت جزائرية وعربية، لا يحكمها ترتيب كرونولوجي ولا تخضع لاعتبارات الأولوية"[1]، وقد رتّب السايح مادة الكتاب وفق ما ورد في هذا التصدير، مع الإشارة إلى بعض الصفحات التي سبقت أقسام الكتاب خصّصها السايح للحديث عن علاقته بأدرار والشيخ محمد بلكبير.

القسم الأوّل: وعنوانه (في الرّواية والمسرح) ويقع في الصفحات (18-99)

اشتغل فيه السايح على عشرين نصا روائيا، ونص مسرحي واحد، لأكثر من عشرين كاتبا.

القسم الثاني: وعنوانه (في الشعر)، يقع في الصفحات (100-156).

قرأ السايح في هذا القسم (10 مجموعات شعرية) لتسعة شعراء.

القسم الثالث: وعنوانه (في القصة)، يقع في الصفحات (157-235).

قرأ السايح في هذا القسم (17 مجموعة قصصية)، لأكثر من (10 كُتّاب).

القسم الرابع: وعنوانه (وجوه)، يقع في الصفحات (236-308)

تحدّث فيه السايح عن أكثر من عشرين وجها ثقافيا

القسم الخامس: وعنوانه (قراءات أخرى)، يقع في الصفحات (309-351).

خصّصه السايح لمواضيع ثقافية فكرية.

-صاحب الكتاب.. ترجمة مختصرة:

الحبيب السايح قاص وروائي جزائري من مواليد ولاية معسكر سنة 1950، نشأ ويقطن بسعيدة، خريج جامعة وهران، اضطرته الظروف للاستقرار بأدرار جنوب الجزائر، ومرحلة استقراره تلك أثّرت كثيرا في كتاباته، ترجمت بعض نصوصه إلى الفرنسية، وترجم هو عن الفرنسية بعض النصوص من بينها نص (شرف القبيلة) لرشيد ميموني، صدر له النصوص الآتية[2]:

- القرار، مجموعة قصصية، اتحاد، الكتّاب العرب-سوريا، 1979. وصدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، 1985.
- الصعود نحو الأسفل، مجموعة قصصية، مؤسسة enap، الجزائر، ط1 1981، وصدرت الطبعة الثانية عن المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- زمن النمرود، رواية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- ذاك الحنين، رواية، cmm، الجزائر، 1997.
- البهية تتزيّن لجلادها، مجموعة قصصية، اتحاد الكتّاب العرب-سوريا، 2000.
- تماسخت ..دم النسيان، رواية، دار القصبة-الجزائر، 2002.
- الموت بالتقسيط، قصص، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2003.
- تلك المحبة، رواية، منشورات anep، الجزائر، 2002.
- مذنبون لون دمهم في كفي، رواية، دار الحكمة، الجزائر، 2008.
- زهوة، رواية، دار الحكمة، الجزائر، 2011.
- الموت في وهران، رواية، دار العين للنشر-القاهرة، مصر، 2014.
- هذا المجاز..قراءات أدبية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار-الجزائر، دط، 2014
- كولينيل الزبربر، رواية، دار الساقي، 2015.
- أنا وحاييم، رواية، دار ميم-الجزائر ودار مسكلياني-تونس، 2018.

نقد الرّواية لدى الحبيب السايح:

خصّص السايح القسم الأوّل من كتابه للرواية والمسرح ولكنّه لم يشتغل سوى على نص مسرحي واحد عنوانه (حنظلة ثورة على جناح السلطنة) لصاحبه سعيد حمودي، في حين حازت الرواية مساحة أكبر في القسم الأوّل حيث قرأ 20 نصا روائيا جلّها للكتّاب الشباب من الجيل الجديد كما يسميهم السايح، نوردها في الآتي بحسب ترتيبها لديه:

-(شرف القبيلة) لرشيد ميموني.

-التّرّاس (ملحمة الفارس الّذي اختفى) لكمال قرور.

-(نورس باشا) لهاجر قويدري.

-(معركة الزقاق) لرشيد بوجدرة.

-(أقصى الأشياء) لخليل حشلاف.
-(عتبات المتاهة) لأحمد عبد الكريم.
-(خطوة في الجسد) لحسين علام.
-(السماء الثامنة) لأمين الزاوي.
-(سرادق الحلم والفجيعة) لعز الدين جلاوجي.
-(نخلة الوجع) لخيري بلخير.
-(أعوذ بالله) للسعيد بوطاجين.
-(قليل من العيب يكفي) لزهرة الديك.
-(أعشاب القلب ليست سوداء) لنعيمة معمري.
-(بختة) لسهام دويفي.
-(بلقيس) لعلاوة كوسة.
-(عطر الدهشة) لابن الربيع محمد الأمين.
-(جبال الحناء..منابع المسك) لعبد القادر برغوث.
-(فصوص التيه) لعبد الوهاب بن منصور.
-(الفجوة) لحفناوي زاغز.
-(رصاصة واحدة لا تكفي) لعبد القادر بوضربة.

ويمكن لأيّ مهتمّ بالأدب الجزائري توزيع المادة الّتي اشتغل عليها السايح شكلا وفق الآتي:

من حيث بيولوجية الناص نلاحظ أنّ السايح قرأ 04 نصوص نسائية من جملة النصوص المشتغل عليها في القسم الأوّل، ومن حيث الجنس الأدبي فالغلبة للرواية بعشرين نصا مقابل نص مسرحي واحد سبق ذِكره، أمّا من حيث الجيل، فإنّ السايح أفرد مساحة أوسع لنصوص كُتّابها من شباب الجيل الجديد واقتصر على نصين من الجيل السابق أحدهما لرشيد بوجدرة والآخر لحفناوي زاغز، وإذا جئنا إلى اللّغة أمكننا القول إنّ جل النصوص كُتبت أصلا بالعربية، واكتفى بنصين كُتبا في الأصل بالفرنسية لرشيد بوجدرة ورشيد ميموني.

قسّمنا جهد السايح النقدي في القسم الأوّل من كتابه مسارات أربع (التعريف والإشادة، نقد الشكل-التجنيس، نقد اللّغة، التصنيف، وهذا الأخير يتفرّع عنه: تصنيف الناص وتصنيف النص) دون نفي إمكانية وجود مسارات أخرى.

أ-المسار الأوّل (التعريف والإشادة):

نسبة كبيرة من قراءات السايح الأدبية في كتابه (هذا المجاز) نُشر ضمن الجرائد، ففي القسم الأوّل مثلا جلّ تلك القراءات يقع في ثلاث صفحات، ما يعني أنّها من حيث الحجم ليست اشتغالا نقديّا

مؤسسا، يُعنى بمجمل محمولات النص، وعليه فإنّ أبرز نَفَس يستنتجه المطّلع على تلك القراءات أنّها مقالات صحفية تهدف أساسا إلى التعريف بنصوص أدبية جزائرية، وهذا صنيع غاية في الأهمية في ظل قلّة الروافد المعرّفة بهذا الأدب، وغالبا ما يختم السايح قراءاته التعريفية تلك بالإشادة والتنويه، تشجيعا لصاحب النص، خاصة إذا علمنا أنّ جلّ النصوص الّتي تناولها السايح في القسمين –وفي الكتاب إجمالا– نصوص أصحابها ينتمون إلى الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد على حدّ تعبير السايح.

قدّم السايح قراءات في نصوص هي الباكورة لدى أصحابها، نذكر مثلا (نخلة الوجع) لخيري بلخير، و(أعشاب القلب ليست سوداء) لنعيمة معمري، و(بختة) لسهام دويفي، و(عطر الدهشة) لمحمّد الأمين بن الربيع ، و(جبال الحناء..منابع المسك) لعبد القادر برغوث، و(أقصى الأشياء) لخليل حشلاف، ورغم ملاحظات عديدة صارمة يوجّهها السايح لأصحاب النصوص، إلاّ أنّه عادة ما يختتم قراءته النص بالتنويه بالجهد المبذول، والإشادة بالموهبة، والدعوة إلى الاستمرار، وهو من خلال اختيار النصوص يبدو مهتمّا بالتعريف بالأسماء والنصوص الجديدة خدمة للأدب الجزائري.

يقول السايح في ختام حديثه عن نص (التّراس.. ملحمة الفارس الّذي اختفى) لكمال قرور: "إنّ كمال قرور في (التراس) قد قدّم إضافة للمتن الحكائي الجزائري، من خلال تجربة تبدو متحرّرة من قيد الإنشاء، بمعناه القصصي والروائي، مأسورة باستعارة الخرافة في بُعدها التربويّ والأخلاقي"[3]، وبالنبرة الإيجابية نفسها يعلّق على نص (نورس باشا) للإعلامية والأكاديمية هاجر قويدري، الّتي حسبه بروايتها تلك "تأخذ لها موقعا في دائرة السرد الجزائري المعاصر"[4]، ويُشيد السايح بصنيع خليل حشلاف صاحب نص (أقصى الأشياء) فيقول: "خليل حشلاف واحد من الكُتّاب الجزائريين الشباب المهمومين بسؤال الكتابة السرديّة، همّ لابد أن يوصله في تجربته القادمة إلى تجاوز مطبات البدايات، لأنّه يكشف عن قدرات إبداعية ستؤكّدها الأيام"[5]، وفي السياق ذاته يشيد السايح بقدرات الكاتب (صاحب النصوص الكثيرة) عز الدين جلاوجي، يقول الحبيب السايح بعد قراءته نصّه (سرادق الحلم والفجيعة): "عز الدين جلاوجي مثل جيله من الكُتّاب الجيّدين والطموحين، يملك الوسيلة التعبيرية باقتدار، وهذا شرط أساس لاختزال الجهد والتردّد في الإنشاء، ولتشكيل مستويات السرد بحسب ما تقتضيه المقامات"[6]، ثمّ إنّ السايح في خضم خطاب الإشادة هذا، يتوقّع في ختام قراءة أكثر من نص ميلاد كاتب جديد، مثل خيري بلخير "ثمّ إنّه لابد من القول أخيرا إنّ خيري بلخير القادم من مدينة العين الصفراء ولاية النعامة، كَتب (نخلة الوجع) بشجاعة أدبيّة قلّ أن قرأت مثلها لدى أمثاله في عمر التجربة، ذلك يعني تفاؤلا مشروعا بميلاد كاتب آخر ينضاف إلى سجل كُتّاب الجزائر الكبيرة بصدرها"[7]، وفي تضاعيف خطاب الإشادة الذي أشرنا إلى بعض نماذجه، يبرُز المسعى التعريفي الّذي يدعو إليه السايح ويمارسه.

يتلمّس قارئ كتاب (هذا المجاز) للحبيب السايح، وهو كتاب جمع فيه قراءاته الأدبية على مدى عشرين سنة (2014/1993) النزعة التعريفية، بسهولة ويُسر، لأنّه وضمن عديد الصفحات يُعرّف

بنصوص الأدب الجزائري، ويدعو إلى الاشتغال عليها، والتعريف بأصحابها، فيخاطب رجال الصحافة وأساتذة الجامعات وطلبة معاهد وكليات الآداب ليطالبهم بالاضطلاع بدورهم في ترقية الاهتمام بالنص الأدبي الجزائري، وهو مثلا يفتتح اشتغاله على نص (عتبات المتاهة) لأحمد عبد الكريم بقوله: "أتاحت لي قراءة نص (عتبات المتاهة) لأحمد عبد الكريم أن أعتبر الاطلاع على ما يكتبه الشباب في الرّواية خاصة أمرا حيويا وضروريا، يضطلع بشان رصد تراكمه المبعثر الصحافيون المختصون، ومجالس معاهد الآداب العلمية، من خلال توجيه الطلبة الباحثين إلى الميدان"[8]، وهو ما لا مناص من القيام به للتعريف بعشرات الإصدارات غير المعروفة للأسف لدى أهل الاختصاص فما بالنا بالقارئ العادي، خاصة في ظل صعوبات نشر وتوزيع الكتاب الأدبي على وجه الخصوص.

ب-المسار الثّاني (نقد الشكل):

يُصدِر الحبيب السايح في ثنايا قراءاته بعض الأحكام النقدية، والإشارات المتعلّقة أساسا بالشكل، فهو يستغرب أحيانا إصرار بعض الكتّاب تجنيس كتاباتهم بالمؤشّر الشائع (رواية)، كما ينتقد قلّة احترافية دور النشر الّتي لا تُعير الأمر أهمية، ولا تُعنى حتى بمسألة التدقيق اللّغويّ للنصوص، الأمر الّذي يمكّننا من القول إنّ السايح رغم قصر المساحة المخصّصة لكلّ نص أبدى اهتماما بأجناسية النصوص ما ينمّ عن مقدرة نقدية لا يُنكرها من يعرف السايح بوصفه روائيا مقتدرا ، وهو إلى ذلك قارئ متابع للحراك الأدبي والثقافي والنقدي في الجزائر والوطن العربي.

ينطلق السايح لحظة الحديث عن أجناسية النصوص لا محالة من فهم جيّد لآليات الكتابة السردية، فهو في الساحة الأدبية منذ ما لا يقلّ عن أربعين سنة، يتتبّع السايح أحيانا التقاطعات الأجناسية في بعض النصوص فيقول لحظة اشتغاله على نص (شرف القبيلة) لرشيد ميموني، إنّه "يتقاطع ليس فقط مع بنية ألف ليلة وليلة، ولكن أيضا مع تقنيات مسرح الحلقة وتوظيف الحكواتي (القوال) عند كاكي وعلولة حصرا"[9]، في إشارة إلى علمين لهما ثقلهما في تاريخ المسرح الجزائري (ولد عبد الرحمن كاكي، وعبد القادر علولة).

ولحظة التعليق على نص (التراس) لكمال قرور، يعتبره أقصر نص قرأه يحمل المؤشّر الأجناسي (رواية)، "وأنا اقرأ بانتظار متجدّد عبر كلّ صفحة، نصّ كمال قرور الأشدّ قِصرا (68 صفحة) ممّا قرأته من النصوص المنسوبة إلى جنس الرّواية عند الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد"[10]، ليقدّم إشارة أجناسية أخرى يؤكّد من خلالها أنّ هذا النصّ جعله يزداد "ولوجا في جوّ الحكاية الخرافية"[11]، ما أدّى به إلى تقرير الآتي عن نص (التراس) فهو لديه "حكاية خرافية استعارت لها اسم رواية"[12]، ولا يخفي هذا النزعة التصنيفية لدى السايح من خلال اهتمامه بالانتساب الأجناسي للنصوص، وهو اهتمام بالشكل الروائي وتفريعاته.

أمّا عن نص (خطوة في الجسد) لحسين علام، فيرى السايح أنّ صاحبه جرّب الكتابة المسرحية، وأسلوب السيرة الذاتية، واليوميات والتراسل في نصّه[13]، ويُصرّح السايح أنّه أحيانا يختار في وصف أو تقرير

أجناسية نص ما "وللحقيقة فإنّي بدرجة ما احترت في توصيف نص (سرادق الحلم والفجيعة) بمعيار يعيده إلى نوع من أنواع الجنس الروائي، بالرغم من أنّ ذلك ليس من اختصاصي، بدرجة ما ألححت على نفسي أن أنظر إليه من زاوية التجريب"[14]، ويتساءل السايح أحيانا عن دوافع نسبة النصوص إلى الرّواية، وهو يعتقد أنّه أمر مشترك لدى الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد، ففي تقديمه نص (أعشاب القلب ليست سوداء) لنعيمة معمري يقول: "وكنت وأنا أنهي النص تساءلت عمّا خالج نعيمة معمري، مثل غيرها من الكتّاب الشباب، لما قرّرت نهائيا أن تنسب نصّها إلى جنس الرّواية ثمّ تُقدّمه مخطوطة إلى دار النشر؟"[15]، والحق إنّنا في بحث سابق وصلنا إلى نتيجة فحواها أنّ السواد الأعظم من النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة بالعربية في الفترة بين (2010/1990) تتقاطع في استعمال مؤشّر أجناسي واحد هو (رواية) فالرواية الجزائرية "ظلّت مرتبطة في أغلب نصوصها بالتعيين الأجناسي الرئيس ... هو تسمية الجنس الأدبي (رواية)"[16].

ج–المسار الثّالث (نقد اللّغة): ينقسم تعليق السايح على اللّغة في النصوص الّتي ناقشها في القسم الأوّل من كتابه إلى شقيّن، شقّ عامّ يصف فيه بعض الكتل اللّغويّة الزائدة بالنفايات السرديّة الّتي كان من الأحسن لصاحب النص لو أسقطها كليّة، ويدعو أحيانا غلى إعادة طبع النصوص بعد التخلّص من تلك الكتل الزائدة، وشقّ يتعلّق بأخطاء النحو والصرف وما شابه، يقول عن نص (رصاصة واحدة لا تكفي) لعبد القادر بوضربة، إنّ طبعة جديدة "بعد إعادة التصفيف والتدقيق اللّغوي، وتركيب الجمل خاصة، وتجنّب شرح الهامش...والانتباه إلى بعض الاختلالات في البنية السردية وبعض المبالغات وتجنب الظاهرة التكرارية وشذب عبارات الحشو، والّتي كلّها من نفايات السرد المشوّشة على فعل القراءة، ستؤكّد أنّ عبد القادر بوضربة يبين عن موهبة قادمة"[17].

ولحظة اشتغاله على نص (جبال الحناء..منابع المسك)لعبد القادر برغوث يعيب عليه "بعض التراخي في الضبط النحوي"[18]، ويتعامل السايح بشدّة عندما تكثر الأخطاء اللّغوية، فنص (بختة) لسهام دويفي مثلا "لا يملك ما يشدّ إليه قارئه للارتباك الكبير الّذي يطال لغته: نحوا وصرفا وإملاء وتركيبا، وهي مطبات لكثرتها إضافة إلى الشروح التعليمية ونفايات أخرى كثيرة، تُحدِثُ تشويشا يُبطِل القراءة"[19]، والحقيقة إنّ لا تشدّد في ذلك فالنص الأدبي جماليّ بالفطرة الّتي لا تقبل أن تطال النص أخطاء نحوية وصرفية.

د–المسار الرّابع (التصنيف): إنّ قراءة النص الأدبي تؤدّي لا محالة إلى محاولة تصنيفه، وأحيانا تنطلق تلك القراءة من تصنيف قبلي له أو لصاحبه، ويلاحظ متصفح كتاب (هذا المجاز) لصاحبه الحبيب السايح انه يَصدوا حيانا عن نزعة تصنيفية تبرز من العناوين الّتي صدر بها السايح قراءته لكل نص، نذكر مثلا العناوين الآتية:

- التراس لكمال قرور معوّم في نهر **الحكاية الخرافية**.
- جنوح الكتابة نحو **السيرة الذاتية** في معركة الزقاق لرشيد بوجدرة.

- **روايات قصيرة** (بختة، بلقيس، عطر الدهشة).

وقد لاحظنا بعد تفحص عمل السايح في القسم الأوّل من كتابه أنّه في بعض المحطات يُصنّف الناص، وفي أخرى يصنّف النص.

1-تصنيف الناص: يُصنّف السايح الكاتب أحيانا بالنظر إلى الجيل الّذي ينتمي إليه، يقول عن رشيد ميموني، إنّه "أحد ابرز كُتّاب الجيل المفرنس الثّاني مثله مثل الطاهر جاووت، من حيث الإضافة النوعية لما أسّسه كاتب ياسين ومحمّد ذيب خاصة"[20]، وأحيانا يعتمد السايح معيار الجهة الجغرافية، فهو يقول بخصيصة معيّنة لمسها في نصوص جلاوجي والخير شوار وعبد الرزاق بوكبة، وكلّهم من الشرق الجزائري[21].

ويصنّف كمال قرور، وهاجر قويدري، واحمد عبد الكريم، وحسين علام، وعز الدين جلاوجي، ونعيمة معمري، وعبد القادر برغوث، وعبد القادر بوضربة، ضمن الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد.

2-تصنيف النص: يُصنّف السايح النصوص عيّنة كتابه، في ثنايا اشتغاله عليها، ويورد التصنيف في العنوان الّذي يُصدّر به التحليل، ومن التصنيفات الواردة في القسم الأوّل من كتابه:

- يُفضّل السايح استنادا إلى معطيات نصيّة أن يصنّف نصّ (التّراس) لكمال قرور في خانة (خرافة) لا (رواية)، فهو يزعم "أنّ كمال قرور إنّما يكون من خلال قصده كتابة رواية، قد أنشأ من غير قصد حكاية خرافية، ببعض المعايير الأساسية لذلك الجنس الأدبي المتفرّع عن الملحمة"[22].
- وفي إشارة تصنيفية أخرى، تضمّن العنوان الّذي صدّر به قراءته نص (معركة الزقاق) لرشيد بوجدرة، ما دلالته أنّ هذا النص يجنح نحو الكتابة السيرذاتية[23].
- ويضع السايح نصّ (عتبات المتاهة) لأحمد عبد الكريم ضمن خانة تواتر ذِكرها في الدراسات النقدية الجزائرية المهتمّة بالنتاجات الأدبية الصادرة إبّان تسعينات القرن الماضي، نقصد الأدب الاستعجالي[24].
- ويدرج نص (سرادق الحلم والفجيعة) لجلاوجي ضمن خانة (رواية التجريب)[25].
- أمّا نص (نخلة الوجع) لخيري بلخير فصنّفه بأنّه (رواية تسجيلية)[26].
- ونجد أن السايح أعمل تصنيفا شكليا عندما وصف نصوص (بختة، وبلقيس، وعطر الدهشة) بأنها روايات قصيرة، ثمّ صرّح انّه يرفض هذا التصنيف "ما دامت الرّواية هي الرّواية لا شيء فيها قصير أو طويل"[27]. وهذا رأيه الشخصي في حين انّ التصنيف وفق معيار الحجم موجود ومعمول به، تتضمنه الدراسات النقدية، ومعاجم مصطلحات الأدب والنقد[28].

-نقد الشعر لدى الحبيب السايح:

خصّص السايح القسم الثّاني من كتابه للشعر، واشتغل فيه على مدوّنات أقلّ من تلك الّتي عالجها في القسم الأوّل، ولكنّها مثل نماذج القسم الأوّل، متنوّعة من حيث الجيل الّذي ينتسب إليه

صاحب كلّ مدوّنة، ومن حيث العمر الإبداعي، ومن حيث الجغرافية واللّغة والنمط الشعري أيضا، ونورد في الآتي تلك النماذج مرتّبة كما وردت لديه:

- (كيف الحال) لربيعة جلطي.
- (مقام البوح) لعبد الله العشي.
- (رياحوليا) لعبد القادر اعبيد.
- (إكراما للتائه) لمحمّد سحابة.
- (أغرق فيك) لسعيد حمودي.
- (توشيح الذاكرة) لمجذوب العيد.
- (رقصة الحمأ المسنون) لعبد الكريم ينينة.
- (فاعل الحبر) لرمزي نايلي.
- (أنا يا أنت) لمحمّد الأمين سعيدي.
- (ماء لهذا القلق الرملي) لمحمّد الأمين سعيدي.

قسمنا نقد الشعر لدى الحبيب السايح ثلاثة مسارات تتداخل أحيانا، ويتفرع عنها ما يشبهها، وتلك المسارات هي (التعريف والإشادة والإطراء)، و(النقد والتوجيه)، و(إيراد النماذج والتعليق عليها).

أ-المسار الأوّل (التعريف والإشادة والإطراء):من الملاحظات العامة الّتي يستطيع قارئ كتاب السايح استنتاجها بسهولة، النزعة التعريفية لأنّه يعلن في كلّ محطة نيته التعريف بالأدب الجزائري كتّابا وكِتابات، غير أنّ ما يلفت الانتباه أنّ السايح يتناول كتابات الأسماء المكرّسة وجلّهم من أصدقائه بالكثير من الاحتفاء والإطراء والتوسّع في التحليل مثل نتاجات (جلطي، وبوطاجين، وينينة، والعشي) في الرواية والشعر والقصة القصيرة على السواء.

يَحضر التعريف (الترجمة الشخصية للشاعر وتقديم عمله) في افتتاحيات اشتغاله على المجموعات الشعريّة كلّها في شكل إشارات، وجدير بالذِكر أنّ تلك الإشارات رغم قصرها مهمّة جدا، لأنّ المعلومات الخاصة بالأدباء والشعراء في الجزائر وبنتاجاتهم جدّ قليلة، على أنّ خطاب الإشادة يكاد يقتصر هنا على الشعراء الجدد (عبد القادر اعبيد) و(مجذوب العيد)، و(رمزي نايلي)، و(محمّد الأمين سعيدي)، وغالبا ما يتضمن هذا الخطاب توجيهات وتصويبات نشير إلى بعضها في المسار الثّاني، أمّا الإطراء فخصّ به السايح الشعراء الأصدقاء، وهم في هذا الكتاب من الأسماء المكرّسة، خاصة ربيعة جلطي وعبد الله العشي، دون فهم أنّ ذلك مهادنة من السايح أو انحياز لهم، وقد حاز نتاج عبد الكريم ينينة وهو صديق السايح (سنوات أدرار وما بعدها) إشادة وإطراء.

ب–المسار الثّاني (النقد والتوجيه):يوجّه السايح بعض الملاحظات النقدية أثناء اشتغاله على المدوّنات الإبداعية للكتّاب الشباب من الجيل الجديد على حدّ تعبيره، وغالبا ما يُذيّل تلك الملاحظات بتوجيهات يدعوهم من خلالها إلى تجنّب بعض الأمور في تجاربهم اللاحقة، ورد مثلا في الصفحات الّتي خصّصها للمجموعة الشعرية (أنا يا أنت) للشاعر محمّد الأمين سعيدي، قوله: "غير انّه لابدّ لي من أن أتنبأ أنّ محمّد الأمين سعيدي سيُحارب في نصوصه القادمة غواية نصوصه السابقة، بأن يطرد منها صورها وجُملها وتكرارات قوافيها وحروف رويّها، لتكون جديدة مختلفة، ذلك يعني قراءة كثيرة وتأمّلا كبيرا في مشهد الشعر"[29]. ثمّ إنّه يوجّه الشاعر إلى توظيف السرد في الشعر "وللطاقة الكامنة، الّتي أتصوّر محمّد الأمين سعيدي يتوافر عليها، فإنّي أرى أنّه قد يتوصّل في خلال تجاربه اللاحقة إلى قناعة أنّ النّص الشعري العمودي منه والحر، يُحقّق المتعة واللّذة معا حين ينبني على حكاية، على قصة، على سرد، لأنّي أعتبر ذلك محدّدا أساسيا لموضوع النص"[30]، وعن مجموعة (فاعل الحبر) لرمزي نايلي يقول إنّ لغتها سليمة جدا في حدودها المعجمية والتركيبية والبنائية "لولا بعض ما كان لابدّ أن يخضع للتدقيق في الحدّ الإملائي"[31].

ج–المسار الثالث (إيراد النماذج والتعليق عليها):هذا النمط من العمل لا يتعلّق فقط بالقسم الثّاني من كتاب السايح، بل يحضر في القسمين الأوّل الخاص بالرّواية والمسرح والثّالث الخاص بالقصة القصيرة أيضا، ولكنّ النماذج الشعرية موظفة بكثرة في القسم الخاص بالشعر وتُظهر الطابع التعريفي للعمل النقدي لدى السايح كما تبرز خطاب الإشادة والإطراء لأنّه يتخيّر مقاطع تُعجبه[32].

استنتاجات: تبيّن لنا بعد قراءة كتاب السايح (هذا المجاز)، أهمية العمل الذي قام به صاحبه، خاص في الشق المتعلّق بالتعريف بالنتاجات الأدبية الجزائرية، فهو اشتغل في القسمين الأوّل والثّاني على:

- 20 نصا روائيا.
- نص مسرحي واحد.
- 10 مجموعات شعرية.

عرّف بها، ومن خلالها عرّف بأكثر 25 مبدعا جزائريا، لا يعرفهم إلا قليل، باستثناء بعض الأسماء القليلة المكرسة، مثل ربيعة جلطي ورشيد بوجدرة والسعيد بوطاجين..، ما يرفع من القيمة المعرفية والتاريخية لمنجز السايح .

مكّننا اشتغالنا هذا من الوقوف على مسارات سلكها العمل النقدي للحبيب السايح (التعريف، النقد والتوجيه، التصنيف...)، والملاحظات الّتي تضمّنها الكتاب عيّنة هذه الورقة البحثية جديرة بالقراءة والاهتمام والأخذ بها فهي صادرة عن قارئ محترف يتذوّق الإبداع ويتابع النتاجات من حيث تراكمها الكمي والنوعي.

ولا بد من القول في نهاية هذا البحث إنّ السايح ليس ناقدا متخصصا –وهو أصلا يرفض أن يحمل هذه الصفة– وبالتالي معظم آرائه النقدية لا تعدو أن تكون مجرد انطباعات نقدية شخصية لغوية

ومضمونية تفتقد إلى الرؤية المنهجية المؤسسة والموجهة للعمل الإبداعي فأغلب ما أشرنا إليه نُشر في أعمدة أفردتها بعض الجرائد للحبيب السايح، فهي بحكم ذلك مختصرة.ولا حظنا أيضا أن السايح تسيطر عليه الانتقائية من خلال النصوص التي تخيرها.

الهوامش والمصادر

1- الحبيب السايح، هذا المجاز..قراءات أدبية، الشركة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار-الجزائر، دط، 2014، الصفحة الثالثة بعد الغلاف الرئيس.
2- ينظر: كتابه ذاك الحنين، دار الحكمة-الجزائر، دت، ص151. وكتابه تلك المحبة، دار الريحانة للكتاب-الجزائر، 2007، ص 307، والنصوص التي لم يرد ذكرها في الكتابين نملكها.
3- الحبيب السايح، هذا المجاز..قراءات أدبية ، ص23.
4- نفسه، ص27.
5- ن، ص 37.
6- ن، ص 55.
7- ن، ص 59.
8- ن، ص 39.
9- ن، ص 19.
10-ن، ص 21.
11- ن، ص ن.
12-ن، ص 22.
13- ينظر نفسه، ص 45.
14- ن، ص 55.
15- ن، ص 69.
16- فايد محمّد، الرّواية الجزائرية المعاصرة، مجلة البلاغة والنقد الأدبي-المغرب، العدد 12، خريف 2018، ص 61/60.
17- الحبيب السايح، المصدر نفسه، ص 95.
18- ن، ص 79.
19- ن، ص 74.

20- ن، ص 19.
21- ينظر: ن، ص 53.
22- ن، ص 21.
23- ينظر: ن، ص29.
24- ينظر: ن، ص 40.
25- ينظر: ن، ص 55.
26- ينظر: ن، ص 57.
27- ن، ص 73.
28- يراجع تمثيلا لا حصرا: إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، د ط، 1986، ص ص 186/176. ومجموعة من المؤلّفين،معجم السرديات، إشراف محمّد القاضي، دار محمّد علي-تونس، ط1، 2010، ص ص 229/207.
29-الحبيب السايح، المصدر السابق، ص 151.
30- ن، ص ن.
31-ن، ص 145.
32- ينظر: ن، ص ص 156/103.